

## التحرير والتنوير

فبيان أنه أن قوله ( ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى ) مسوق مساق إبطال تعجب المشركين من رسالة محمد A حين لم يسبقها رسالة رسول إلى آباءهم الأولين كما علمت مما تقدم آنفا فذكرهم بأن ا [ أرسل موسى كذلك بعد فترة عظيمة وأن الذين أرسل إليهم موسى أثاروا مثل هذه الشبهة فقالوا ( ما سمعنا بهذا في آباءنا الأولين ) فكما كانت رسالة موسى عليه السلام بعد فترة من الرسل كذلك كانت رسالة محمد A . فالمعنى : فكان المشركون حقيقيين بأن ينظروا رسالة محمد برسالة موسى ولكن ا [ أنشأ قرونا أي أمما بين زمن موسى وزمنهم فتناول الزمن فمسي المشركون رسالة موسى فقالوا ( ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة ) . وحذف بقية الدليل وهو تقدير : فنسوا الإيجاز لظهوره من قوله ( فتناول عليه العمر ) كما قال تعالى عن اليهود حين صاروا يحرفون الكلم عن مواضعه ( ونسوا حظا مما ذكروا به ) وقال عن النصارى ( أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به ) وقال لأمة محمد A ( ولا تكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم ) فضمير الجمع في قوله ( عليهم ) عائد إلى المشركين لا إلى القرون .

فتبين أن الاستدراك متصل بقوله ( ولقد آتينا موسى الكتاب من بعدما أهلكنا القرون الأولى ) وإن ما بين ذلك وبين هذا استطراد . وهذا أحسن في بيان اتصال الاستدراك مما احتفل به صاحب الكشاف . و [ دره في استشعاره وشكر ا [ مبلغ جهده . وهو بهذا مخالف لموقع الاستدراكيين الآتين بعد من قوله ( ولكننا كنا مرسلين ) وقوله ( ولكن رحمة من ربك ) . والعمر الأمد كقوله ( فقد لبثت فيكم عمرا من قبله ) .

( وما كنت ثاويا في أهل مدين تتلوا عليهم آياتنا ولكننا كنا مرسلين [ 45 ] ) هذا تكرير للدليل يمثل آخر مثل ما في قوله ( وما كنت بجانب الغربي ) أي ما كنت مع موسى في وقت التكليم ولا كنت من أهل مدين إذ جاءهم موسى وحدث بينه وبين شعيب ما قصصنا عليك .

والثواء : الإقامة .

وضمير ( عليهم ) عائد إلى المشركين من أهل مكة لا إلى أهل مدين لأن النبي A يتلو آيات ا [ على المشركين .

والمراد بالآيات الآيات المتضمنة قصة موسى في أهل مدين من قوله ( ولما توجه تلقاء مدين ) إلى قوله ( فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله ) . ويمثل هذا المعنى قال مقاتل وهو الذي يستقيم به نظم الكلام ولو جعل الضمير عائدا إلى أهل مدين لكان أن يقال : تشهد فيهم آياتنا .

( كنت ) ضمير من الحال موضع في مقاتل تفسير حسب على ( آياتنا عليهم تتلو ) وجملة A E وهي حال مقدرة لاختلاف زمنها مع زمن عاملها كما هو ظاهر . والمعنى : ما كنت مقيما في أهل مدين كما يقيم المسافرون فإذا قفلوا من أسفارهم أخذوا يحدثون قومهم بما شاهدوا في البلاد والأخرى .

والاستدراك في قوله ( ولكننا كنا مرسلين ) ظاهر أي ما كنت حاضرا في أهل مدين فتعلم خبر موسى عن معاينة ولكننا كنا مرسلينك بوحينا فعلمناك ما لم تكن تعلمه أنت ولا قومك من قبل هذا .

وعدل عن أن يقال : ولكننا أوحينا بذلك إلى قوله ( ولكننا كنا مرسلين ) لأن المقصد الأهم هو إثبات وقوع الرسالة من الله للرد على المشركين في قوله وقول أمثالهم ( ما سمعنا بهذا في آياتنا الأولين ) وتعلم رسالة محمد A بدلالة الالتزام مع ما يأتي من قوله ( ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ) الآية فالاحتجاج والتحدي في هذه الآية والآية التي قبلها تحد بما علمه النبي E من خبر القصة الماضية .

( وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون [ 46 ] ) جانب الطور : هو الجانب الغربي وهو الجانب الأيمن المتقدم وصفه بذلك الوصفين فعري عن الوصف هنا لأنه صار معروفا وقيد الكون المنفي بظرف ( نادينا ) أي بزمن ندائنا